
أحداث العالم العربي:
التفاعلات الاقليمية والدولية

(2014-2013)

أحداث العالم العربي:
التفاعلات الاقليمية والدولية
(2014-2013)



المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق
The Consultative Center for Studies and Documentation



أحداث العالم العربي: التفاعلات الاقليمية والدولية (2013-2014)

صادر عن: المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق

هذا التقرير هو ثمرة جهود تضافرت في الكتابة والبحث والتحليل المعمق بإشراف المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، وقد أسهم في إثراء مادة التقرير بالأفكار والتحليلات القيمة نخبة من الكُتاب والمفكرين العرب والأجانب. إن جميع الأبحاث والدراسات والآراء الواردة في هذا التقرير لا تُعبر إلا عن وجهة نظر كتّابها.

المشرف العام: عبد الحليم فضل الله

مدير التحرير: قاسم عز الدين

الترجمة: صالح الأشمر (لبحثي باتريك هنري وليونيل فيرون)

الإخراج والتنضيد: أحمد شقير

الطباعة: مطبعة الحرف العربي

التوزيع: لبنان والعالم العربي

تاريخ النشر: نيسان 2015

الطبعة: الأولى.

القياس: 21x29

حقوق الطبع محفوظة للمركز

جميع حقوق النشر محفوظة للمركز. وبالتالي غير مسموح نسخ أي جزء من أجزاء التقرير أو اختزانه في أي نظام لاختزان المعلومات واسترجاعها، أو نقله بأية وسيلة سواء أكانت عادية أو إلكترونية أو شرائط ممغنطة أو ميكانيكية أو أقراص مدمجة، استنساخاً أو تسجيلاً أو غير ذلك إلا في حالات الاقتباس المحدودة بغرض الدراسة والاستفادة العلمية مع وجوب ذكر المصدر.

العنوان: بئر حسن - جادة الأسد - خلف الفانتزي وورلد - بناية الإنماء غروب - الطابق الأول.

البريد الإلكتروني: dirasat@dirasat.net www.dirasat.net

Baabda 10172010 :P.o.Box

هاتف: ٠١/٨٣٦٦١٠

فاكس: ٠١/٨٣٦٦١١

خليوي: ٠٣/٨٣٣٤٣٨

ثبت المحتويات

7 المقدمة
10 المدخل / قاسم عز الدين
19 - العوامل الاقتصادية - الاجتماعية وراء الثورات العربية جورج قرم
39 - الإخوان المسلمون والمسألة الاجتماعية - الاقتصادية باتريك هنري
63 - أولويات حزب الله الإستراتيجية تجاه الثورات العربية طلال عتريسي
75 حزب الله والتحوّلات العربية / حسام مطر
79 - مصر ودول "المربع الإسلامي" في توازنات الشرق الأوسط مصطفى اللباد
97 - دول الخليج وتداعيات الموجة السادسة وليد نويهض
115 - السعودية: الرؤية والخيارات فؤاد إبراهيم
127 - جذور التحوّلات في الشرق الأوسط حسن بهشتي بور
140 أصابع واشنطن / محمد ميرندي

- 141 متغيّرات السياسة التركية وأبعادها الإستراتيجية الإقليمية
محمد نور الدين
- 163 «إسرائيل» في مواجهة العاصفة «القلق الإستراتيجي»
سيف دعنا
- 179 التهديدات والمخاطر التي تخشاها «إسرائيل»
حلمي موسى
- 187 روسيا الأوراسية في المنظومة الدولية
فصيح بدرخان
- 206 روسيا ومصادر الطاقة / ليونيد سافين
- 209 أي تأثيرات لإستراتيجية «الاستدارة شرقاً» الأميركية على منطقة الشرق الأوسط؟
سعد محيو
- 216 «الشرق الأوسط برميل بارود» كتاب بريجنسكي
- 218 أميركا والتسلّح / سارة فلاوندرز
- 219 أميركا- الصين آفاق إستراتيجية
ليونيل فيرون
- 230 قوة أميركا وزعامتها في عالم متحوّل / فيليب غوليب
- 233 الاقتصاد السياسي للتنمية المستقلة: نحو نموذج عربي بديل
عبد الحلیم فضل الله
- 249 مقارنة لواقع الاقتصادات العربية وعلاقتها بالاقتصاد العالمي
منير الحمش

روسيا الأوراسية في المنظومة الدولية

د. فصيح بدرخان

نائب رئيس المركز العلمي
للحوار الروسي- العربي في
معهد الاستشراق الروسي.

مقدّمة

الأقوى في أوراسيا. وكان المشروع الفرانكوجيرماني أقل أهمية مع أنه لعب في مراحل معينة دوراً عالمياً هاماً، وكان الصراع بين هذه المشاريع يجري إما مباشرة أو بشكل غير مباشر على مناطق النفوذ.

وكان لأوروبا وللإمبراطوريتين العثمانية والفارسية دور كبير في تطور الدولة الروسية وحضارتها حيث ترافق تشكل الإمبراطورية الروسية مع ظهور الإمبراطورية العثمانية إلى جانب الإمبراطورية الفارسية. وكان لروسيا تاريخ صعب من العلاقات مع هاتين الإمبراطوريتين، لأن تطور الحضارات الشرقية والإسلامية كان متوازناً مع التطور التاريخي للعلاقات الروسية- الأوروبية وقد تخللته من جهة حروب طاحنة ومن جهة أخرى تفاعل اقتصادي واجتماعي وثقافي وديني وقيمي. هذا الموقع المتميز بين الغرب والشرق والتفاعل الدائم معهما أدى إلى أن تقف روسيا أمام مسألة انتماء هامة لم تحلها الحضارة

يمتد التاريخ الإمبراطوري الروسي لأكثر من خمسة قرون. وقد لعبت روسيا دوراً كبيراً في منطقة أوراسيا وفي العالم شأنها في ذلك شأن أية دولة عظمى يعتبر تاريخها في جانبه الخارجي جزءاً من التاريخ العالمي¹. وأصبحت روسيا بالتدرج حضارة متكاملة حاملة لمشروعها الجيوسياسي الذي يعتمد على مجموعة من القيم أساسها روسي وأثر فيها بشكل كبير انتقال مركز الأرثوذكسية العالمية إلى موسكو أو ما يسميه الفلاسفة عادة "روما الثالثة"²، وروما الثالثة هي الإرث الإمبراطوري البيزنطي الذي انتقل إلى روسيا بعد سقوط القسطنطينية (روما الثانية) عام 1453 على يد السلطان العثماني محمد الفاتح. ودخلت روسيا منذ ذلك التاريخ في صراع مرير مع جميع إمبراطوريات الغرب والشرق وخصوصاً في مرحلة التشكل التدريجي للمشاريع الجيوسياسية في أوراسيا والتي تعدت حدود القارتين الأوروبية والآسيوية. وكان المشروعان الجيوسياسيان الأنكلوساكسوني والروسي هما

1- ما جرى في روسيا داخلياً أثناء الثورة الاشتراكية عام 1917 وما جرى أثناء سقوط الاتحاد السوفياتي في التسعينيات من القرن الماضي لا يعتبر تاريخياً داخلياً فقط لأن انعكاساته كانت بعيدة جداً عن حدود الإمبراطورية.

2- جرى الحديث أثناء حكم بوش الابن عن «روما الرابعة» كان يجب أن تمثلها الولايات المتحدة كزعيمة وحيدة للعالم.

ومن الضروري هنا الإشارة إلى جانب هام من الحضارة الروسية وهو أنها حضارة حديثة عموماً تؤمن بقيم مشروع الحداثة العالمي الذي بدأ منذ الثورة الإنكليزية وتشكل نهائياً بعد الثورة الفرنسية⁵. ولهذا الحضارة خصوصياتها التي تميزها عن الحداثة الغربية الكلاسيكية. وهذه الخصوصيات ناتجة عن التصاقها بالشرق، وهي، وإن اعتُبرت تاريخياً من الناحية السياسية حضارة استبدادية (القيصرية

والشيوعية)، تُعتبر من الناحية الاجتماعية والدينية غير شمولية، فالروسي لا يتعامل مع الآخر انطلاقاً من انتمائه الديني أو القومي وليست هناك أية حدود اجتماعية أو دينية لدى الروس في علاقاتهم مع الآخرين⁶. هذا التسامح الديني والقومي كان السبب الرئيسي في جذب الشعوب المجاورة، فالشعوب غير الروسية لا تعتبر روسيا دولة استعمارية بالمعنى الكلاسيكي كما اعتُبرت شعوب العالم الثالث الدول الأوروبية. وقد كان لهذا التاريخ والقيم التي ذكرناها دور هام في السياسة الخارجية الروسية التي كانت مهمتها الأساسية لا تقتصر على الدفاع عن مصالح العالم الروسي (السلافي) فقط وإنما عن مصالح جميع الشعوب التي دخلت في الإمبراطورية تاريخياً بما في ذلك المرحلة السوفياتية التي اعتُبرت في

الروسية حتى اليوم وهي: هل هذه الحضارة أوراسية أو آسيو-أوروبية، وهل روسيا شرق أم غرب، وأي مكُون هنا هو الأقوى؟ وما زال الجدل دائراً بين الفلاسفة حتى اليوم³.

تُعد الحضارة

الروسية «غرباً

موازياً» وهي أيضاً

«مسيحية موازية»

وتُعتبر روسيا والحضارة الروسية عموماً بالنسبة للشرق غرباً موازياً، ليس كلاسيكياً قائماً على القيم الرومانية التاريخية، والكاثوليكية فيما بعد، بل على القيم الروسية (السلافية) والأرثوذكسية التي

تعتبر هي أيضاً مسيحية موازية لأنها تقوم على خليط من القيم الروسية الخالصة والبيزنطية وحتى الإسلامية والكونفوشسية والوثنية. هذا الغرب الموازي أو المسيحية الموازية أقرب إلى الشرق عامة والشرق الإسلامي خاصة لأنها تلتصق به وتتفاعل معه تاريخياً، فضلاً عن أن الإسلام يعتبر مكوناً عضوياً في الحضارة الروسية، فالمسلمون يشكلون حوالي 13% من السكان، الذين اعتنقوا الإسلام في بداية القرن الثامن الميلادي أي قبل أن تصبح روسيا مسيحية بأكثر من قرن ونصف القرن⁴، هذا العامل الهام إضافة إلى العامل الأرثوذكسي في الشرق العربي يدفع روسيا دائماً نحو التفاعل مع العالمين العربي الإسلامي وكما هو معروف فإن روسيا عضو مراقب في جامعة الدول العربية ومنظمة التعاون الإسلامي.

3- الجانب القومي باعتباره أحد جوانب الهوية العامة وصل إلى قمته في القرنين 19 و20 في الحضارة الأوروبية لكن لم يكن له نفس الأثر على الوعي الاجتماعي الروسي كما هو الحال لدى الأوروبيين، ووصل الجدل حول الانتماء الحضاري الروسي إلى أوجه في القرن التاسع عشر. وأهم من كتب عن الفكر الأوراسي نيكولاي تروبيتسكوي (1890-1938). وتجدد الجدل في نهاية القرن العشرين وما زال قائماً لكنه لا يشكل أهمية أساسية بالنسبة للروس لأن العامل الثقافي وليس الديني أو القومي هو الدافع الأساسي للسلوك عندهم.

4- بدأ انتشار الإسلام في جمهورية داغستان منذ بداية القرن الثامن الميلادي وأصبحت الجمهورية كلها مسلمة في منتصف القرن السادس عشر، بينما استمرت أسلمة شعوب شمال القوقاز حتى القرن التاسع عشر. أنظر أعمال المستشرق السوفياتي عمري شيخ سعيدوف والعمل الكبير للباحث أليكبير أليكبيروف تحت عنوان «مرحلة الإسلام الكلاسيكي في القوقاز».

5- قيم مشروع الحداثة العالمي (التنوير، العدالة، الإخاء، الإنسانية، فصل الدين عن الدولة، تحرير المرأة وغيرها) انتشرت بسرعة في روسيا والعالم بما فيه العالم الإسلامي.

6- ظاهرة حليقي الرأس التي ظهرت في التسعينيات واختفت اليوم كانت حالة غريبة عن الحضارة الروسية وخصوصاً أن الشعوب الروسية هي التي قضت على الفاشية والنازية.

لقرار 1973 الخاص بليبيا، وشاركت بنشاط في العمليات الدولية لحفظ السلام وغيرها من الفعاليات الدولية. لكنها ركزت منذ بداية القرن الحالي على دول الرابطة المستقلة التي تعتبرها الامتداد الطبيعي والاستراتيجي لروسيا تاريخياً.

وركزت نظرية السياسة الخارجية الروسية في صيغتها الأخيرة التي صادق عليها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في 12 شباط / فبراير 2013، وفي الكلمات البرنامجية السنوية التي يقدمها عادة الرئيس الروسي أمام التجمع الفدرالي (المجلس الفدرالي والبرلمان)، على هذا الاتجاه بالذات، وهي تهدف إلى أن يكون جيران البلاد غير عدائين لروسيا وأن تضمن السياسة الخارجية الشروط اللازمة للتطوير الداخلي، وضمان النمو المتلاحق للبلاد وموقعها على المسرح العالمي ودورها في القضايا الدولية مع الأخذ بعين الاعتبار المتغيرات المتلاحقة في الوضع الدولي ونمو الصراع على الزعامة الدولية وقبل كل شيء من قبل الولايات المتحدة والصين. وتعتبر النظرية الجديدة استمراراً منطقياً للنظرية السابقة التي تم اتخاذها في عام 2008، وهي عموماً نظرية دولة تتوجه نحو التطوير الداخلي في بناء المجتمع الديمقراطي واقتصاد السوق المتوجه نحو خدمة المجتمع مع ضمان الشروط الخارجية للتطوير الداخلي. وتؤكد هذه النظرية على استمرار الحضور الروسي الهام في العالم ليس بوسائل الهيمنة ولكن عن طريق التعاون مع العالم الخارجي على أساس مبادئ العدالة والمساواة وعدم التدخل بالشؤون الداخلية، واستخدام القوة الناعمة، وعدم النظر إلى أية دولة من خلال العداء أو على أساس أنها منافسة لها. وتتضمن النظرية الاتجاه نحو تعددية الأقطاب في السياسة الخارجية، وتضفي أهمية خاصة على الأمن الاستراتيجي الدولي وعدم التوسع وأمن الطاقة والتحديات الجديدة المعاصرة مثل الإرهاب والجريمة المنظمة والتطرف

حينها شكلاً جديداً لواقع إمبراطوري تاريخي تغير فيه النظام السياسي وبالتالي شكل الملكية وأساليب وعلاقات الإنتاج. لكن هذا النظام سقط نتيجة لعوامل داخلية وخارجية يعرف تفاصيلها الكثير من الباحثين ولا مجال للخوض فيها الآن، وستناول في عملنا هذا موضوع عودة روسيا إلى مكانها الطبيعي في التاريخ العالمي.

موقع روسيا في المنظومة الجيوسياسية الدولية

بعد سقوط الاتحاد السوفياتي تقبلت روسيا على مضض الوضع الجيوسياسي العالمي الجديد والدور الأمريكي الأساسي فيه، وكانت في التسعينيات لا تعارض الغرب في شيء. ولا داعي هنا للتوقف عند تفاصيل التسعينيات من القرن الماضي فهي باختصار كانت الصفحات الأكثر سوداوية في التاريخ الإمبراطوري. لكن وصول الرئيس بوتين للسلطة لأول مرة في عام 2000 كان بداية لمرحلة نوعية جديدة في السياسة الروسية الداخلية وبالتالي في السياسة الخارجية التي عادة ما تكون امتداداً للسياسة الداخلية.

ووعياً من روسيا بعدم قدرتها على التأثير المباشر في العمليات الدولية فقد ركزت عموماً على سياستها الداخلية بالدرجة الأولى وعدم الانخراط المباشر في القضايا الدولية تاركة الساحة للغرب والناو مع التذكير بين الحين والآخر "أننا ما زلنا هنا". وركزت السياسة الخارجية الروسية على التقيد الصارم بالمؤسسات والقوانين والشرعية الدولية في حل القضايا العالمية، ووقفت بوضوح ضد كل العمليات التي قام بها الغرب خارج تفويض مجلس الأمن الدولي. من ذلك على سبيل المثال وقوفها في نهاية 1999 ضد العملية العسكرية للناو في يوغوسلافيا، وضد العملية العسكرية في العراق عام 2003، وانتقدت بشدة التفسير الخاطيء من وجهة نظرها

على ضوء هذه النظرية قامت روسيا بعدة مبادرات باتجاه الرابطة المستقلة أهمها، من الناحية العسكرية، تشكيل منظمة معاهدة الأمن الجماعي وتشكيل قوات التدخل السريع التابعة لهذه المنظمة والعمل باتجاه تشكيل مجال دفاع جوي موحد بين دول الرابطة كما هو الحال بين روسيا وبييلوروسيا. ومن الناحية الاقتصادية قامت بتشكيل الاتحاد الجمركي بين روسيا وبييلاروسيا وكازاخستان ودعت دول الرابطة الأخرى للانضمام إليه، كما عملت على تطوير مبادرة تشكيل الاتحاد الاقتصادي الأوراسي. كل هذه المبادرات تتطور بوتائر سريعة، والوضع الدولي يدفع دول الرابطة عموماً نحو التكامل وخصوصاً الوضع في الإقليم وبالدرجة الأولى في أفغانستان وما يجري في العالم العربي. لكن هذا التكامل يثير الغرب الذي يصرح بشدة بأنه لا يمكن أن يكون بين هذه الدول تكامل يقتضي تشكيل مؤسسات فوق قومية⁸، وهو يقوم بكل شيء من أجل إعاقة هذا التكامل قولاً وعملاً. هذا الموقف المتشدد يمكن أن يكون أحد العوامل التي يمكن أن تعيق التكامل في المستقبل، إضافة إلى أن دول الرابطة نفسها تتوجه نحو التعددية في اتجاهات التعاون مع العالم الخارجي، وهي تبني علاقاتها مع هذه أو تلك من الدول في الغرب مع توجيه أنظارها في الوقت نفسه نحو موسكو. وتجدر الإشارة إلى أن دول الرابطة الشابة تعاني من حالة تشكل مؤسساتها وإدارة استقلالها وتتعامل النخب فيها بحذر مع التكامل ولا تقبل أية مقترحات يمكن أن تؤدي إلى تحديد استقلاليتها، والأكثر صعوبة هنا العلاقات مع

وتجارة المخدرات وغيرها. ومن الطبيعي أن يكون تطبيق هذه النظرية صعباً بسبب عدم استقرار الاقتصاد العالمي والأزمات التي تظهر تكراراً في مناطق مختلفة، وتنمو معها المخاطر العالمية المتعددة ومنها المخاطر القاتلة. كما أن واشنطن تنتهج منذ الحرب الباردة حتى اليوم سياسة الهيمنة محاولة استخدام القوة أو التهديد باستخدامها في إسقاط الأنظمة المختلفة ما يؤدي إلى تعقيد العلاقات الدولية. فضلاً عن أن المتغيرات الجيوسياسية، وأهمها سلوك الولايات المتحدة والنمو المتلاحق للصين، تدفعها إلى الخروج الواسع⁷. غير أن الصين اليوم لا تعتبر خطراً على السياسة الخارجية الروسية بل الخطورة تكمن في الاستفزات الموجهة إليها، والنزاعات الجارية في العالم على الحدود والخلافات العرقية والدينية وأهمها تلك التي تقع على تماس الحضارات والدول مثل القوقاز وآسيا الوسطى والبلقان وغيرها، فضلاً عن الصراع العربي-الإسرائيلي، ونزاع الأتراك واليونانيين والصرب والكوسوفيين والهنود والباكستانيين إلخ...، إضافة إلى الخلافات الإيديولوجية بالرغم من سقوط المعسكر الاشتراكي، والصراع على الخامات ومخاطر الإيكولوجيا والإرهاب والهجرات غير الشرعية والمخدرات وغيرها. مع عدم إغفال الأزمات الاجتماعية الداخلية للكثير من الدول وخصوصاً ما نراه اليوم في العالم العربي مع العلم أن لا أحد في العالم اليوم محمي من الكوارث الاجتماعية المشابهة.

7- جدير بالذكر أن الصين لم تُخرج أسطولها الحربي إلى خارج مياهها الإقليمية بشكل مكثف منذ القرن السابع عشر حتى فترة قريبة وبسبب مكافحة القرصنة في منطقة خليج عدن.

8- كانت وزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلنتون في الأيام الأخيرة قبل تركها للخارجية قد صرحت عن ذلك بوضوح قائلة إن الولايات المتحدة لن تسمح لروسيا بالعودة إلى دول الاتحاد السوفياتي السابق بالشكل الذي كانت عليه.

هذا الفكر موجوداً كما ذكرنا منذ العصر القيصري. وباختصار يعتبر دوغين أن العالم يُقسم عملياً إلى حضارات قارية وحضارات بحرية والمنطقة الأوراسية تعتبر النموذج الواضح للحضارات القارية، ازدهرت فيها وتزدهر الحضارات الروسية والأوروبية والصينية والهندية والإسلامية وغيرها، وهي من وجهة نظر دوغين حضارات ذات أصالة تاريخية لا تتصف بالعدوانية وإنما تقوم على الثبات والعراقة والامتداد الحضاري الطبيعي. وهناك، حسب دوغين، الحضارات البحرية وهي الحضارة البريطانية-الأميركية (الأنكلوساكسونية)، وهي عموماً تقوم على قيم عدوانية توسعية. ويرى هذا الخبير أن روسيا تعتبر رمزاً للأوراسية حيث تتجذر فيها القيم الأوروبية والآسيوية، ومن هنا وجوب أن تكون الفكرة الأوراسية إيديولوجية الدولة. لكن من الصعب القول بأن الأطروحة التي تضمنها كتاب دوغين تعتبر وصية سياسية أخلاقية للزعيم الروسي فلاديمير بوتين⁹ لأن هذه الفكرة، حسب الكثير من الخبراء، جميلة من حيث المظهر، تشبه إلى حد كبير الفكرة التي طرحها الرئيس الأميركي بوش حول الشرق الأوسط الكبير وتقضي بتشكيل منطقة كبيرة جداً من الشعوب تُمنح الاستقلال الذاتي والحرية وغيرها من الأفكار الجذابة، لكن المقصود من ذلك إضعاف بل إسقاط الدول القومية القوية التي يقتضي أن تتحول إلى دول عرقية أو دينية صغيرة يسهل التعامل معها أكثر من التعامل مع الدول القومية المالكة للحدود والجيوش والثقافات القومية الخاصة بها. والفكر الأوراسي، حسب دوغين، هو منح أكثر وأوسع ما يمكن

جورجيا بسبب أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا، ومع مولدايا بسبب بريديستريا، ومع أوكرانيا حيث الخلافات الاقتصادية وازدياد التدخل الغربي في شؤونها. ثم إن ما يعيق عمليات التكامل هو أن جميع دول الرابطة المستقلة لم تبني بعد نموذجاً جذاباً للتعامل الديناميكي.

ولا تقوم روسيا كما يعتبر البعض بتشكيل كتلة أو حلف جيوسراتيجي مناوئ للمنظومة الأورو-أطلنطية لكنها تحاول- من خلال تشكيل منظمات مثل منظمة معاهدة الأمن المشترك ضمن رابطة الدول المستقلة ومنظمة التعاون الاقتصادي الأوراسي والاتحاد الجمركي وإقامة الدولة الإتحادية الروسية- البيلاروسية، إضافة إلى الانضمام إلى منظمات هامة مثل منظمة "شنغهاي" للتعاون ومنظمة "بريكس" وغيرها- تحجيم إمكانيات المد الغربي على الأقل قرب حدودها الإمبراطورية التاريخية. لكن جميع هذه المنظمات ضعيفة ولا تعتبر منافساً حقيقياً لحلف الناتو.

من الإيديولوجيا الصارمة إلى البحث عن الإيديولوجيا

تعاني روسيا منذ سقوط الاتحاد السوفياتي من فراغ إيديولوجي لم ترغب في ملئه أية حكومة منذ التسعينيات بسبب الخوف الحقيقي من الإيديولوجيا المركزية الصارمة للحزب الشيوعي السوفياتي، وينتشر في روسيا اليوم ما يسمى «الفكرة الأوراسية» ومنهم من يعتبرها إيديولوجية روسية جديدة. وبالرغم من أن الخبير الجيوسياسي ألكسندر دوغين يرى نفسه تقريباً مؤسساً للفكر الأوراسي أو «للنظرية الأوراسية» فقد كان

9- أنظر كتاب ألكسندر دوغين «أسس الجيوبوليتيكا» وهو العمل الأهم له في المجال الإيديولوجي. (باللغة الروسية).

10- هذه الفكرة (الأوراسية) تحصل على الدعم الكبير جداً من قبل الزعيم الكازاخي نورسلطان نازاربايف الذي يعتبره البعض مؤسساً لها.

في الاتجاه الشرقي تعترض روسيا مشاكل أقل في المرحلة الحالية مما يعترضها في الاتجاه الغربي، وتولي الأهمية الكبيرة لمنطقة جنوب شرق آسيا والمحيط الهادىء، والوضع الحالي هناك لا يشير عموماً إلى أية مخاطر هامة تهدد روسيا، فليس في المنطقة عداء لها، ولا عدائيّة لديها ترتبط بشكل مباشر بأزماتها، سوى ما يتعلق بجزر الكوريل مع اليابان. وهناك رغبة لدى دول المنطقة في التعاون الاقتصادي والسياسي مع روسيا، وخصوصاً الصين التي تتصاعد معها العلاقات بوتائر عالية جداً وهذا التعاون لن يقتصر تأثيره على الوضع في المنطقة وإنما يشمل الوضع الاقتصادي والسياسي العالمي، وهو اليوم يؤثر جدياً في المسألة السورية التي سنتحدث عنها بشيء من التفصيل، ويؤثر وسيؤثر على الصعيد الاقتصادي حيث لدى روسيا والصين إمكانيات كبيرة للتأثير من خلال لقاءات "الثمانية" و"العشرين". والشراكة الإستراتيجية الروسية- الصينية هي أكثر من مجرد اصطلاح دبلوماسي بارد، وهذا واضح على الأقل من المواقف الروسية والصينية المتطابقة في الكثير من الأحيان في مجلس الأمن الدولي ومنها المواقف من القضايا العربية. ولا يمكن لدولتين مثل روسيا والصين أن لا تعترضا على انفراد واشنطن بالمجالين النووي والعسكري والسيطرة عليهما. وأصبح واضحاً بعد المحاولات الأميركية لانتهاج سياسة القطب العالمي الوحيد أن السلاح النووي والسيطرة على الجو والفضاء يشكلان العامل الوحيد في الحفاظ على الاستقلال الحقيقي لأية دولة. أضف إلى ذلك أن الصين أصبحت من أهم الدول المستهلكة للطاقة الروسية ما يعتبر عاملاً سياسياً هاماً بالنسبة لروسيا في الضغط على

من الاستقلال الذاتي لشعوب المنطقة الأوراسية، لدرجة أنه يطرح منح الحكم الذاتي حتى لعمال مصنع واحد إذا رغبوا هم في ذلك¹¹، وهذه ليبرالية لم يتوصل إليها من حيث مضمونها حتى الغرب الليبرالي، ولا شك في أنها تشكل خطورة كبيرة على الدول العظمى التي تتشكل من قوميات وعروق كثيرة جداً مثل روسيا والصين والهند وغيرها. ويبدو أن ما أثار فضول القيادة الروسية في الفكر الأوراسي هذا هو طرح دوغين لفكرة

التكامل يثير

الغرب الذي يرفض

تشكيل مؤسسات

فوق قومية.

أن الشعب الروسي كان بمثابة الإسمت الذي جمع الشعوب الأخرى في حضارة روسية واحدة وهو بالتالي يعدّ محوراً هاماً في المنطقة الأوراسية عموماً ويعبر عن رغبات إمبراطورية قد تستهوي النخبة السياسية الروسية الحاكمة التي طالما حاولت الدخول إلى العائلة الأوروبية في التسعينيات من القرن الماضي لكنها رُفضت. وقد تأخذ النخبة الروسية من هذه الفكرة تلك الجوانب التي تعبر عن طموحاتها المركزية وما يتناسب مع مشروعها التعبوي الذي لم يتبلور حتى اليوم في أيديولوجية واضحة سوى ما تم الإعلان عنه سابقاً وهو "الكونسيرفوتيزم" الروسي (الإيديولوجيا المحافظة-التقليدية) التي أصبحت واضحة المعالم في السياستين الداخلية والخارجية للبلاد.

مستقبل هذا النهج على مستوى السياسة الخارجية؟

تعترض روسيا باعتبارها مشروعاً جيوسياسياً متكاملًا مشاكل عدة من جهات تاريخية هامة نحو الشرق والغرب والجنوب وكذلك نحو الشمال الذي ظهرت فيه تحديات جديدة مرتبطة باستثمار موارد المحيط المتجمد الشمالي.

11- أنظر كراسه «أسس الأوراسية» التي يضع فيها دوغين المبادئ التي تقوم عليها نظريته الأوراسية. (باللغة الروسية).

من مبدأ يقضي بأن لا تؤدي نشاطاتها السياسية في الاتجاه الشرقي إلى الإساءة للتوجه الغربي وبالعكس، فالجغرافية تفرض على روسيا التواجد في جميع قضايا أوراسيا والشرق الأوسط وحتى شمال أفريقيا. ولدى الدولة الروسية خبرة سياسية كبيرة، فهي عضو دائم في مجلس الأمن وبدونها لا يمكن حل الكثير من القضايا ومنها الإرهاب الدولي، والتطرف الديني، والجريمة المنظمة، وتجارة المخدرات، وانتشار سلاح التدمير الشامل، وحل الصراع العربي- الإسرائيلي واستقرار الوضع في الشرق الأوسط، وضمان الأمن في أوروبا وأوراسيا عموماً إضافة إلى أن الصين واليابان وكوريا والكثير من دول المنطقة لا تملك البديل لروسيا في مجال الطاقة.

علاقات صعبة ومعقدة مع الغرب

في الاتجاه الغربي نجد أن روسيا، وإن ابتعدت كثيراً إيديولوجياً واجتماعياً واقتصادياً عن النظام الشيوعي وعن النظام الاشتراكي وبنيت وتبني نظاماً رأسمالياً خالصاً، لا تزال علاقاتها بالغرب عموماً والولايات المتحدة بشكل خاص صعبة ومعقدة، ما يشير إلى أن روسيا منافس دائم للغرب بغض النظر عن النظام السياسي القائم فيها¹². لكن المهم اليوم أن هناك حواراً صعباً وعلاقات متطورة عموماً، قياساً على ما كان سائداً في زمن الحرب الباردة، ولن تمضي روسيا في مصارعة الغرب والولايات المتحدة إلا إذا اضطرها الغرب نفسه لذلك. وتحاول روسيا جاهدة حل الأزمات التي تعيق هذه العلاقات لكنها تعتمد في الوقت نفسه إلى الرد بالمثل على كل تجاوز غربي أميركي لمصالحها. ومن الصعب اليوم العودة إلى مرحلة الحرب الباردة على الأقل بسبب الحوار الجاري،

أوروبا والغرب عموماً، والأهم من ذلك كله هو أنه لا يمكن الوقوف أمام الوجود العسكري الأميركي في القارة الآسيوية بدون التحالف الاستراتيجي بين روسيا والصين والدول الهامة الأخرى في المنطقة. وتجدر الإشارة إلى أن روسيا بتقاربها مع الصين لا ترغب في الظروف الحالية التهيؤ للمخاطرة في تمرين جديد على حرب باردة بالرغم من أن عدداً من المفكرين الاستراتيجيين الروس يطرحون تحالفاً حضارياً مع الشرق وبالدرجة الأولى مع الصين والعالم الإسلامي. ومن الطبيعي أن تكون القيادة الروسية الحالية ماضية باتجاه إعادة التوازن الدولي على أساس موازين القوى المتشكلة اليوم في العالم، وإذا تطلب الأمر التحالف الحضاري الذي تطرحه المجموعة ذات الانتماء الشرقي في الفكر الروسي فإن تحالفات مثل هذه ليست بالبساطة التي يتمناها هؤلاء المفكرون.

في الوقت نفسه توجد في المنطقة بعض المشاكل التي يمكن أن تمس المصالح الروسية بسبب نمو المنافسة الجيوسياسية وسباق التسلح والعودة عن التعاون الاقتصادي بين دول المنطقة. وتهتم اليابان بالتعاون مع روسيا العلاقات بينهما بغض النظر عن الخلاف بشأن جزر الكوريل الجنوبية. ويبقى الوضع في شبه الجزيرة الكورية معقداً، وتبقى الخلافات بسبب جزر في بحر الصين الشرقي والجنوبي من عوامل عدم الاستقرار الأمني وتطوير التعاون الاقتصادي في منطقة جنوب شرق آسيا والمحيط الهادئ، والدبلوماسية الروسية التي لا تتدخل في هذه المشاكل يمكن أن تدفع الأطراف المتنازعة نحو السلام، وبإمكان موسكو أن تلعب الدور الهام في وقف سباق التسلح عن طريق تقوية إجراءات الثقة في الإقليم. وتنطلق روسيا

12- أثبت سلوك الغرب في مرحلة إعادة التغيير التي قام بها الرئيس السوفيياتي الأول والأخير ميخائيل غورباتشوف منذ منتصف الثمانينات وبعد سقوط الاتحاد السوفيياتي أن الصراع لا يحمل حصراً طابعاً إيديولوجياً بل جيوسياسياً لأن الغرب يقف عملياً ضد أي توجه يمكن أن يؤدي إلى قوة روسيا حتى ولو كان ذلك نتيجة لنظام ديمقراطي خالص كما هو الحال اليوم في روسيا.

الأحداث السورية حيث أن المكون السوري في العلاقات الروسية الأميركية كان له تأثير سلبي لكن الحوار ما زال جارياً ويبدو أنه تم الاتفاق على شيء ما مهم هنا بالرغم من أن بعض الخبراء يعتبرون أن التصريحات الأميركية "اللينة" منذ بداية المرحلة الثانية لرئاسة باراك أوباما لا تعني أن الولايات المتحدة لن تتابع سياستها في تأجيج الوضع السوري بوسائل أخرى ليكون عاملاً تصعيدياً في كل الإقليم، لأن ذلك يتناسب تماماً مع إستراتيجية الأنغلو- ساكسون التي انخرط فيها «الفرانكو-جيرمان» ليحصلوا على قسم هام من الإرث المتوقع من تقسيم دول المنطقة إلى دويلات سهلة الإدارة. ومن وجهة النظر هذه لن تسمح الولايات المتحدة والغرب، إن أمكنهم ذلك، بأن تبقى سوريا دولة موحدة بل يجب أن تتفكك أو تتحول إلى دولة فاشلة كما هو الحال في معظم الدول التي جرت وتجري فيها الأحداث، والأكثر من ذلك يعتبر بعض المتخصصين في الشأن الجيوسياسي أن الغرب لن يسمح بانتصار معارضة ترى في سوريا قومية متكاملة، ولا حتى في انتقاء الشخصية التي يمكن أن تلتف حولها المعارضة السورية.

علاقات دافئة مع أميركا حتى الحرب العالمية الأولى

ومن جانب آخر يرى الكثيرون أن موسكو وواشنطن لن تتقاربا تماماً وأن مصيرهما المنافسة والعداء، لكن لو عدنا عدة سنوات إلى الوراء لوجدنا أنه لم يكن هناك حتى تصور للحوار الصعب القائم اليوم. ومن المفيد هنا أن نذكر أن القليل يعرف أن بين الولايات المتحدة وروسيا صفحات هامة من التعاون والتعاطف المتبادل طمستها غياهب المواجهة الكبرى خلال القرن العشرين، ولا يجري الحديث عنها في القرن الواحد والعشرين. ففي عهد صراع الأميركيين ضد البريطانيين كانت روسيا تتعاطف

بالرغم من أن هذا الحوار صعب ويعاني من تقاليد وقيم زمن الحرب الباردة ولم يكن حوار مثل هذا متوقفاً في المرحلة السوفياتية. وأهم القضايا الأساسية العالقة اليوم بين روسيا والغرب هي المحاولات الأميركية لنشر الدرع الصاروخية في الأراضي الأوروبية بالقرب من الحدود الروسية حيث تطالب روسيا بضمانات خطية لعدم توجيه الدرع ضد ترسانتها النووية. ويبدو أن أوباما بدأ يفكر جدياً في هذه الضمانات لكنه يصطدم بالكونغرس. والقضية الأخرى هي المواقف من الأحداث العربية وبالدرجة الأولى في سوريا ويبدو هنا أيضاً تنازلاً أميركي أمام روسيا في إيجاد حل للأزمة السورية يرضي روسيا، وهناك "حرب القوائم" التي تتضمن شخصيات رسمية ممنوعة من الدخول إلى أراضي الدولة الأخرى، وإصدار القوانين المعادية مثل "قانون ماغنيتسكي" الأميركي و"ديما ياكفليف" الروسي، والمواقف من قضايا حقوق الإنسان وحرية الصحافة والانتقادات المتبادلة بين الدولتين في هذا المجال وغيرها. وفيما يخص العلاقات الروسية- الأوروبية فهي تعاني من موضوع حساس بالنسبة للطرفين وهو أمن الطاقة، ولا توجد حتى اليوم إتفاقية جديدة تحدد المبادئ الأساسية للعلاقات بين روسيا والاتحاد الأوروبي الذي يتخذ مواقف معادية لروسيا من خلال البرلمان الأوروبي ومجلس حقوق الإنسان وغيرها في عدة محاور أهمها الشيشان سابقاً، وجورجيا وخصوصاً بعد حرب 2008 وإعلان استقلال أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية عنها واعتراف روسيا بهذا الاستقلال والوضع المحتد اليوم حول أوكرانيا، وحقوق الإنسان في روسيا وواقع المنظمات غير الحكومية وغيرها.

مع وصول أوباما للبيت الأبيض بدأت عملية إعادة إطلاق العلاقات بين الولايات المتحدة وروسيا لكن ذلك جرى ويجري بصعوبة بسبب الموقف المتشدد تجاه روسيا من قبل الجمهوريين، وازداد الخلاف بعد أن بدأت

الى ابتهاج الأميركيين، وبعد سقوط سيفاستوبول قام الأميركيون بقيادة محافظ كاليفورنيا مارك دوغال بتجمع للتعبير عن مشاعر الحزن أمام القنصلية الروسية في سان فرانسيسكو.

وفي أوروبا بدأت الأحاديث عن أن روسيا والولايات المتحدة عقدتا معاهدة عسكرية سرية، الأمر الذي لعب دوراً في رفض الإنكليز والفرنسيين التدخل الروسي في الولايات المتحدة الأمريكية. وبقيت البوارج الروسية

في شواطئ الولايات المتحدة حوالي سنة وعند الوداع تحدثت الشخصيات الرسمية عن مشاعر الصداقة والأخوة والدعم الأخلاقي. بقيت العلاقات الدافئة بين الولايات المتحدة وروسيا حتى نهاية

القرن 19 وبعدها تعكرت حتى الحرب العالمية الأولى، ثم قربتتهما الحرب العالمية الثانية لفترة قصيرة وبعدها أبعدهما الإيديولوجيات والمصالح. وبالرغم من كل ما جرى بعد سقوط الاتحاد السوفياتي وما يجري اليوم في العلاقات لم تتوجه روسيا نحو العداء التام للولايات المتحدة والغرب عموماً بل تم تعديل السياسة الخارجية من النهج الموالي تماماً للغرب إلى نهج متعدد الاتجاهات وإقامة علاقات الشراكة مع الجميع.

وفي الاتجاه الجنوبي هناك منطقة القوقاز وتركيا وإيران والعالم العربي الإسلامي حيث لا يعرف التاريخ القديم ولا المعاصر أي صدام بين روسيا والعرب ولم تعبر روسيا يوماً عن أي طموحات استعمارية في المنطقة بل أن روسيا السوفياتية هي التي كشفت للعرب مؤامرة سايكس-بيكو ودعمت الثورات العربية ضد مستعمرهم ووقفت دائماً مع العرب في صراعهم مع إسرائيل. فروسيا لم تتدخل في الانتفاضات العربية الحالية حتى وصلت الأمور في سوريا إلى درجة أصبح واضحاً معها أن الولايات المتحدة

مع الأميركيين، حيث رفضت القيصرة يكاتيرينا الثانية إحدى أهم قيصرة روسيا طلبات لندن بتقديم قوات من القوزاق للقضاء على المنتفضين الأميركيين، كما أن الرئيس توماس جيفرسون الذي وضع إعلان استقلال الولايات المتحدة اعتبر روسيا أكثر صداقة ورحمة ضمن جميع الدول العظمى، واعتُبر القيصر ألكسندر الأول شخصية تتقاسم المبادئ التي يعتنقها الشعب الأمريكي، وكان جيفرسون يبدأ رسائله للقيصر بعبارة «يا صديقي

العظيم والطيب» كما أن الرئيس الأمريكي جون كفينسي آدمس عاش في روسيا سنة كاملة وهو في الرابعة عشرة من عمره وبعد ذلك عاد إليها مبعوثاً وعاصر مع الروس هجمات نابليون وتعلم الروسية

وكانت هذه الفترة صعبة للولايات المتحدة حيث كانت تجري الحرب الأمريكية-الإنكليزية التي انتهت بتوقيع سلام بوساطة من ألكسندر الأول. وفي مرحلة القيصر نيكولاي الأول ازداد التفاهم المتبادل بين البلدين ففي عام 1832 وقّع الطرفان معاهدة حول الملاحة والتجارة دامت 80 سنة كما شارك المهندسون الأميركيون في بناء الخط الحديدي بين بطرسبورغ وموسكو وبناء قلعة في خليج كرونشتاد. وعندما بدأت حرب القرم مع الإمبراطورية العثمانية وقفت أميركا إلى جانب روسيا واجتمع عدد كبير من المتطوعين الأميركيين على أبواب القنصلية الروسية في نيويورك للتطوع من أجل الدفاع عن سيفاستوبول القاعدة البحرية الروسية الكبرى في البحر الأسود، وكانت الشركات الأمريكية تبيع الأسلحة لروسيا كما اقترحت الولايات المتحدة تنظيم حملة بحرية خاصة لملاحقة الأسطول العثماني، وقام القنصل الأمريكي في الهاواي بإبلاغ الروس في الوقت المناسب عن اقتراب الحملة الفرنسية-الإنكليزية من كامشاتكا في شرق روسيا مما سمح للروس بتحطيمها وأدى ذلك

لا طموحات

استعمارية لروسيا

في العالم العربي

في البداية الاكتفاء بالتصريحات الروتينية المطالبة للجهات الحاكمة في هذه الدول بالإصلاحات من جهة والرافضة للعنف من قبل أية أطراف تشارك في هذه الأحداث من جهة أخرى. وهو موقف بعيد عن الإيديولوجيات ولا يؤدي إلى أرباح آنية يمكن أن تأتي من قبل إحدى جهات الأزمات الرابحة مؤقتاً والتي يمكن أن تكون خاسرة مع تطور الأحداث. وهذه سياسة خارجية براغماتية تتبعها القيادة الروسية التي يحتل فيها بوتين بلا شك المكان الأول علماً بأن موقفه من سوريا بالذات كان واضحاً منذ البداية ولم يغيره حتى اليوم. وانطلاقاً من المكان الهام الذي تفرده روسيا للعالم العربي ألقى الرئيس الروسي السابق دميتري مدفيديف كلمة في مقر الجامعة العربية عندما زار الشرق الأوسط وعدداً من الدول الأفريقية، كما ألقى وزير الخارجية سرغي لافروف كلمة أخرى، وتحديثاً عن أساسيات المواقف الروسية من قضايا العالم العربي والإسلامي. وروسيا تعرف مكانها التاريخي لدى العرب وهي كانت على قناعة تامة بمصداقية مواقفها حيث، كما ذكرت مجلة المتوسط، "من السذاجة هنا أن نفكر أن الغرب لا يعرف أن الثورات هي بالأساس ضده ومن السذاجة أيضاً أن نعتبر أن الغرب سيسلم بهزيمته"¹⁴. ومن هنا يمكن لروسيا أن تلعب دوراً أساسياً قد يبدو للوهلة الأولى خاسراً إعلامياً لأن التوظيف الإعلامي العالمي يشكل خطراً هاماً على السياسة الروسية. لكن القيادة الروسية بالرغم من ذلك تلتزم بأساسيات تبدو واضحة من خلال موقفها من الأزمة السورية تعكس حقيقة السياسة الروسية من كل ما يجري من أحداث في سوريا والمنطقة العربية والتي لم تتراجع عنها ويبدو واضحاً أنها لن تتراجع وهي:

والغرب عموماً يخططان لتحويلات جذرية في هذا الجزء من العالم يمكن أن تمس الحضارة الإسلامية برمتها، ففي هذه المنطقة شعوب أكثر تطلعاً لنمط الحياة الحداثي والفئة الغالبة في سكان شمال أفريقيا والشرق الأوسط هي من الشباب، وقد رفع هؤلاء في تحركاتهم الاحتجاجية شعارات تتمحور حول فكرة أساسية وهي المطالبة بحياة كريمة كما هو الحال في الغرب. من جهة أخرى نجد أن الأحداث في عدد من البلدان تحمل بصمات مسلمين متطرفين، ينتمون في غالبيتهم إلى السلفية. وتكمن المشكلة اليوم في إمكانية فقدان العالم لعامل استقرار مهم جداً، خاصة وأن هذا يحدث في ظل ظروف سياسية واقتصادية حساسة تمر بها أوروبا والولايات المتحدة، وهي مرحلة تندر بقرب حدوث أزمة عالمية جديدة. ويرى بعض المحللين الروس أن انتصار الديمقراطية الأوروبية على الإسلام التقليدي سيكون باهظ التكاليف، الأمر الذي يهدد بعواقب سلبية على العالم بأسره لا يمكن التكهّن بها¹³.

موقف روسيا من الأحداث في سوريا

لكن بعض الباحثين يرى أن روسيا مكثت في منطقة الضباب الاستراتيجي إزاء التحويلات الجارية في العالم العربي، وقد كان الأمر كذلك حتى وصلت الأحداث إلى سوريا بعد ليبيا. وكان ذلك ناتجاً عن بديهية مضمونها أن روسيا لن تستطيع تغيير مجرى الأحداث كما كانت تفعل في المرحلة السوفياتية. وعلى هذا الأساس فضّلت روسيا

13- صحيفة «كراسنايا زفيدا» (النجم الأحمر) مارس 2012، حوار مع ليونيد ريشيتنيكوف مدير المعهد الروسي للدراسات الإستراتيجية.

14- مجلة "المتوسط" - 9 آذار/ مارس 2011.

على ضوء هذه المبادئ العامة تسعى الدبلوماسية الروسية إلى بعض التفاهات وأهمها:

1- وضع قواعد شفافة ومفهومة يلتزم بها فعلياً كافة اللاعبين الخارجيين.

2- الاتفاق على دعم الإصلاحات الديمقراطية في الدول التي بدأت طريقها نحو التحولات، دون فرض مقاييس من الخارج، والاعتراف بنماذج التطور المختلفة.

3- الاتفاق على العمل معاً من أجل التسوية السلمية للنزاعات الداخلية للدول ووقف أعمال العنف من خلال خلق ظروف لحوار شامل تشارك فيه كافة المجموعات السياسية.

4- الاتفاق على الامتناع عن التدخل الخارجي وخاصة استخدام القوة من دون تفويض واضح من مجلس الأمن، وكذلك الامتناع عن فرض عقوبات اختيارية وتعسفية.

5- الاتفاق دائماً على الوقوف معاً بوجه التطرف والإرهاب بجميع أشكاله ومظاهره، والمطالبة بضمان حقوق الأقليات الإثنية والطوائف.

هذا النهج والموقف من الأزمة السورية يمكن اعتباره نهجاً روسياً عاماً من كل الأزمات الدولية مع الأخذ بالاعتبار خصوصيات كل دولة أو كل أزمة على حدة، وإذا عاد العالم والغرب بالدرجة الأولى إلى قواعد الشرعية الدولية أم لم يعد فإن موسكو تكون قد حققت نجاحاً استراتيجياً وخصوصاً أنها تعترف بوجود القيام بالإصلاحات في المنظمات الدولية بما يتناسب والمتغيرات الدولية في العالم الذي تشكل بعد يالطا.

دروس الأزمات العربية والأزمة السورية بشكل خاص.

تعد الأزمات العربية عموماً وخصوصاً الأزمة الليبية وبعدها الأزمة السورية -تضاف إليهما حالياً الأزمة

1- توجيه إشارة صارمة بأنها لا تقبل التأويل للوقف الفوري للعنف والجلوس إلى طاولة الحوار الذي يجب أن يشمل جميع أطراف النزاع، وليس بوسع أي فريق من المعارضة التحدث باسم الشعب السوري، وروسيا مستعدة لاستضافة الحوار السوري على أراضيها.

2- تطبيق إصلاحات فورية وشاملة، والإصلاحات التي ينفذها الأسد تتأخر، والحكومة ارتكبت الكثير من الأخطاء مع أن العناصر المسلحة تستفزها بشدة، ولا يجوز تجاهل ما تم من إصلاحات.

3- رفض التدخل العسكري الخارجي لعدم تكرار السيناريو الليبي، ورفض العقوبات أحادية الجانب، وعدم قبول النداءات الموجهة إلى الرئيس السوري بالتنحي عن السلطة لأن رحيله لا يعني حل المشاكل بل دعوة إلى سفك الدم، والرئيس مستعد للحوار. وفي الوقت نفسه لا تعتبر روسيا وجود الأسد في السلطة شرطاً للحل، وروسيا لا تدافع عن النظام، والشعب السوري هو الذي يقرر من سيكون في السلطة بالاختيار الديموقراطي، والأسد لم يُصغِر إلى كل النصائح الروسية، ولم يفعل الشيء المطلوب في الوقت اللازم لكنه صادق على قوانين مفيدة.

على المستوى الشعبي والبرلماني والحزبي في روسيا فإن الموقف من الأزمة السورية موحد، بالرغم من وجود خلافات بين الأحزاب السياسية الروسية على مستوى السياسة الداخلية. فعلى سبيل المثال أثناء التصويت على بيان للبرلمان الروسي بخصوص سوريا صوت في صالح البيان الذي جاء متوافقاً مع المواقف الرسمية 445 عضواً من أصل 450 وامتنع اثنان. ولخص البيان الموقف في ثلاثة بنود: أولاً، الأزمة داخلية ويجب حلها داخلياً -ثانياً، يجب أن لا يكون مجلس الأمن والأمم المتحدة حلفاء لأحد الأطراف - ثالثاً، التدخل الإنساني عادة ما يؤدي إلى نتائج غير إنسانية.

للصين وروسيا معاً بواسطة الإسلاميين، فروسيا تفقد بثبات مع الصين ودول «بريكس» ضد هذه الإستراتيجية من خلال الحفاظ على سوريا وعلى مؤسساتها كدولة قومية وليس الحفاظ على النظام السوري. هذا الواقع الجيوسياسي الجديد يجعل سوريا اليوم أهم القضايا الدولية وهي حالياً أهم من الملف النووي الإيراني والأزمة النووية الكورية ومن تطور الأحداث في شمال أفريقيا، وحتى أنها غطت على أهم قضية في الشرق الأوسط وهي القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي عموماً، لأن خط الجبهة العالمية بين استراتيجيتين عالميتين (لا إيديولوجيتين) يمر بالأراضي السورية، والقضية السورية بالنسبة للسياسة الخارجية الروسية ليست بمعزل عما يجري في العالم العربي ككل. وبالرغم من أن الأزمة السورية تعتبر مصدر إرباك للسياسة الخارجية الروسية غير أنها لم تعرّضها لإحراجات عديدة داخل الساحة الدولية كما يعتبر البعض بل إنها تعزز مواقعها من وجهة نظر الشرعية الدولية والبناء العالمي المتشكل بعد يالطا. وكان يمكن لروسيا مثلاً أن تغير الأنظمة في بعض الدول حتى عسكرياً مثل ما حصل أثناء الحرب مع جورجيا عام 2008 لكنها التزمت بالمعايير الدولية ولم تفعل ذلك. والقضية بالنسبة لروسيا ليست فقط في إثبات حضورها القوي على الساحة الدولية وليست حتى في الحفاظ على مصالحها الإستراتيجية في سوريا، وليست، كما يصوره الإعلام العالمي، الدفاع عن النظام السوري. ويعتبر دور روسيا الذي أصبح تقليدياً في السنوات الأخيرة دور الوسيط

الأوكرانية- من أهم القضايا التي تشغل السياسة الخارجية الروسية اليوم، لأن سوريا، بعد ليبيا، كشفت بوضوح الكثير من دسائس السياسة العالمية وأصبح ما يسمى بنظرية المؤامرة واضحاً للجميع، ولم تتوقع روسيا أن الأمور ستصل إلى الخروج النهائي عن الشرعية الدولية في إسقاط الأنظمة السياسية، ولذلك تحولت سوريا إلى قضية عالمية تدخل روسيا فيها على الخط الأول. وقد بات واضحاً أن الحديث لا يجري عن نشر الديمقراطية، والدليل على ذلك أن الثورات أدت إلى تقوية الإسلاميين المتطرفين بالذات وليس القوى الديمقراطية. وبات واضحاً أن الحديث يجري عن إستراتيجية خطيرة ليس على دول الشرق الأوسط فحسب بل على العالم لأن ما يجري فعلاً هو «بيرسترويكا» عالمية ثالثة تقوم بها قوى محددة في الغرب خلال قرن من الزمان باستخدام بعض مكونات «الإسلام السياسي»¹⁵، وهي لا تقل خطورة عن سابقتها، ففي البيرسترويكا العالمية الأولى في بداية القرن العشرين تم تحطيم الإمبراطورية العثمانية وتقاسم إرثها في معاهدة «سايكس- بيكو» المعروفة، بينما حطمت البيرسترويكا العالمية الثانية في نهاية القرن المناسف الأول للغرب- المعسكر الاشتراكي والاتحاد السوفياتي- وما زال الصراع جارياً على تقاسم الإرث في شرق أوروبا والمنطقة الأوراسية، وأصبح واضحاً منذ يوغوسلافيا أن الإستراتيجية الجديدة تهدف إلى شيء يختلف تماماً عن المعلن. ووعياً من روسيا بأن الأحداث الجديدة في المنطقة العربية تهدف إلى توجيه الضربة القادمة للصين أولاً أو

ما يجري في

الشرق الأوسط

«بيروسترويكا»

عالمية ثالثة

15- في الدول العربية يتم دعم المتطرفين الإسلاميين بينما في أوكرانيا يتم دعم القوميين المتطرفين وقد يؤدي الوضع إلى تقسيم أوكرانيا كما قسّمت يوغوسلافيا السابقة.

الكيل بمكيالين في تقييم المخاطر الإرهابية وفي المواقف من المتطرفين الذين يجدون الملاذ الآمن من المحاكمة خارج أراضي الدول التي تقوم بملاحقتهم. والجدير بالذكر أنه ضمن ما يجري من أحداث مصيرية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تتحرك القوى التي رُسم لها أن تتحرك في المنطقة العربية والمناطق الأخرى، ونرى كيف نشطت الهياكل المرتبطة بالإرهاب العالمي والتطرف في مناطق القوقاز وآسيا الوسطى حيث أصبحوا يتحدثون عن أن "نضالهم" هو جزء من الجهاد العالمي الذي لا يجب ولا يمكن التعامل معه إلا بصورة مشتركة.

وبما أن روسيا تدعم الدول العلمانية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا فهذا يثير الإسلاميين والمتطرفين في القوقاز. ومن المهم جداً الإشارة إلى أنه في الوقت الحالي تعمل مجموعات إرهابية من دول الرابطة المستقلة ومن ضمنها أفراد من التتار الروس والأوكرانيين حتى أنه شوهد البعض منهم في "ميدان" العاصمة الأوكرانية أثناء الأحداث التي حصلت في نهاية العام الماضي لدعم المعارضة الأوكرانية وهذا بالطبع يمكن أن يكون درساً لدول الرابطة المستقلة الأخرى في القوقاز وآسيا الوسطى.

والجدير بالذكر أن عضو مجلس الشيوخ الأميركي دينيس كوسيتيتش كان قد صرح بأن "الميدان" في كييف يتوجه نحو خلق الظروف اللازمة لدخول أوكرانيا إلى الناتو وتقريب حدود هذا الحلف العسكري السياسي إلى الحدود الروسية وبهذا الشكل فإن الهدف الرئيس للغرب هو هدف جيوسياسي بغض النظر عن مصالح دول المنطقة وهذا ما يجب أن يكون درساً هاماً لهذه الدول. ويرى كثير من المحللين أن الأحداث الجارية في أوكرانيا تشبه تلك التي جرت وتجرى في سوريا وليس من المستبعد أن هذه الأحداث تُدار من مركز واحد وتعتبر مكوناً لنفس

اللبق في منطقة الشرق الأوسط، وقد أقر دبلوماسي فرنسي في أروقة أحد المؤتمرات الدولية بأنه يتمنى أن تقف فرنسا نفس الموقف الروسي تجاه مشاكل الشرق الأوسط.

تأثيرات الأحداث العربية على روسيا

مع تطور الأحداث التي جرت في العالم العربي نشطت منظمات الإرهاب الدولي في المنطقة العربية وفي الشيشان وشمال القوقاز وتجلّى الوضع في تطلعات المتطرفين في شمال القوقاز، وفي مقدمتهم دوكو عماروف وإمارة القوقاز التي يعتبر نفسه أميراً لها، إلى تصوير المواجهة باعتبارها مواجهة إسلامية وهي جزء من الجهاد العالمي. وهذا ما يؤدي إلى انتشار النشاطات الإرهابية للمتطرفين في أنغوشيتيا وداغستان وكاباردينو بلقاريا التي لا تنتشر فيها تطلعات انعزالية، وبهذا الشكل يعتبر شمال القوقاز منطقة مستهدفة من قبل الإرهاب الدولي. ومن هنا نَبّهت روسيا إلى ضرورة التعاون المتبادل على المستوى

الدولي في مكافحة الإرهاب العالمي وفي منطقة القوقاز. وأحد الإتجاهات الأساسية يجب أن يكون قطع التمويل، حيث إن الجزء الأكبر من الأموال التي يحصل عليها الإرهابيون نتيجة للعمل التجاري العلني وغير العلني والوساطة في تجارة المخدرات

من صنادق المنظمات الإسلامية الراديكالية. وأشارت موسكو إلى أن العمليات العسكرية وحدها في هذا المجال لا يمكن النظر إليها كوسيلة فعالة إزاء هذا الشر الكبير وذلك أن هذه العمليات يمكن أن تؤدي إلى نتائج مرحلية آنية في وقف العمليات الإرهابية، والحلقات الرئيسية في هذا الخطر هي إيديولوجيا الإرهاب والتطرف وحاملو هذه الإيديولوجية والمعرضون عليها والقنوات التي يتم نشرها من خلالها. كما حذرت من استخدام سياسة

أحداث أوكرانيا

تشبه الأحداث

الجارية في سوريا

مستشار مؤسس ورئيس منظمة "روح" القومية المتطرفة فياتشيسلاف تشيرنوف¹⁸.

ولا داعي هنا للحديث عن الممارسات التي قامت بها جورجيا في مرحلة الرئيس ساكاشفيلي وهجومه على أوسيتيا الجنوبية عام 2008 بالرغم من أن الغرب كان يعتبر جورجيا في ظل حكمه نموذجاً للديموقراطية مع أنها كانت فعلاً نموذجاً للنظام الشمولي واعتمدت على أساس الامتياز العرقي والاضطهاد السياسي وخرق الحقوق السياسية والحريات لدرجة أن العلاقة مع نظام مثل نظام ساكاشفيلي يشوه سمعة أية دولة حضارية. وكان يستخدم منابر دولية ومنظمات عالمية محترمة مثل المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان لإبعاد أنظار المجتمع الدولي. وكان مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة قد حاول عدة مرات الإشارة إلى الخروق التي يرتكبها النظام الجورجي في مجال حقوق الإنسان والتعذيب والاستهتار بالحقوق من قبل أجهزة الأمن والتمييز العرقي ومضايقة الأقليات وحرية الصحافة. وذكرت منظمة "هيومان رايتز ووتش" في تقريرها السنوي لعام 2012 أن الولايات المتحدة وأوروبا لم تستطع إقناع الرئيس الجورجي بمراعاة حقوق الإنسان في جورجيا. واعتبرت أن جذور الخوف من الغير الذي يصل إلى مستوى العنصرية والتعصب العرقي لها تاريخ في جورجيا حتى أن لدى الشعب الجورجي تطلعات لبناء دولة على أساس عرقي، ومن هنا نرى الضغط الكبير على الأرمن في منطقتي ساميخي وجاواخيتي والأذربيجان في منطقة كفيموكراتي واليونانيين في منطقة بانكيسي. وهنا

الإستراتيجية الموجهة نحو تفكيك الدول القومية والتي كانت بدايتها تفكيك يوغوسلافيا في عام 1999 ولن تنتهي في أوكرانيا التي أصبح فيها الميدان مكاناً لاحتجاجات القوى القومية المتطرفة ومنها القوى التي لا علاقة لها بأوكرانيا. فعلى سبيل المثال لوحظت في الميدان إضافة لمن ذكرناهم مجموعات تحمل الأعلام الشركسية¹⁶ وأعلام المعارضة السورية¹⁷ ووجوه كانت تقا تل إلى جانب المعارضة السورية وسيؤدي كل ذلك إلى توتر الوضع في شرق البلاد وجنوبها مما سيؤدي في نهاية المطاف إلى تقسيم الدولة. والأكثر من ذلك أن اشتداد الوضع في أوكرانيا سينعكس بلا شك على الدول المجاورة على عملية التسوية بين مولدافيا وبريدنيستروفا وقد يؤدي حتى إلى اشتعال الأزمة من جديد. ومن هنا نرى أن السياسة التي يقوم بها الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة بالتدخل المباشر في الشؤون الداخلية لأوكرانيا تبدو عديمة المسؤولية فهي تدعم المعارضة المتطرفة وبالتالي القوى القومية المتطرفة التي يمكن أن تشعل موقداً للتوتر طويل الأمد في أوروبا. ومن جزاء السياسة الغربية تجاه أوكرانيا التي تعاني من التناقضات الداخلية الكبيرة بفرض رأي واحد، والدعم الفاضح للقوى المعادية للحكومة، تشكل انطباع بأن دول الغرب تقوم بسياسة "فرق تسد" التي تهدف إلى تنفيذ السيناريو اليوغوسلافي لتقسيم أوكرانيا التي تبين مؤخراً أن نتائج الاستفتاء حول خروجها من الاتحاد السوفياتي نُشرت خطأً وبشكل مقصود حيث لم تكن الأغلبية الساحقة من الأوكرانيين يرغبون في الانفصال عن الاتحاد السوفياتي وهذا ما اعترف به دم تري بانامارتشوك

16- تجدر الإشارة إلى أن ما تسمى «بالمسألة الشركسية» كانت ورقة لعب بها الغرب واعتبرت أن من خلال الرئيس الجورجي السابق ساكاشفيلي من أجل الضغط على روسيا في الألعاب الأولمبية. ومضمون هذه «المسألة أن الألعاب الأولمبية تقام في سوتشي التي تم تهجير سكانها في القرن التاسع عشر، لكنها ورقة خاسرة لأن الشركس أنفسهم وجدوا في الألعاب الأولمبية عامل تطوير هام لمنطقتهم.

17- أنظر موقع www.putnik1.laivejournal.com.

18- أنظر صحيفة (كسمومولسكايا برفادا) (CM. «KII» 27. 01. 2014).

حكيمهم والثاني أنها كانت وما زالت تُعتبر من ثورات الشباب الفاقدة لأي تنظيم سياسي.

الانتفاضات العربية

باتت تسمح

باستنتاجات أولية

بشأن مستقبل

الشرق الأوسط.

وبهذا الشكل كانت الأحداث في الشرق الأوسط تهدف إلى إظهار وإثبات إمكانية استخدام الشبكات الاجتماعية في الاحتجاجات الموجهة نحو إسقاط الأنظمة السياسية القائمة في المنطقة إضافة إلى أنها كانت تهدف إلى الضغط النفسي على الزعماء غير الديموقراطيين من

وجهة نظر الغرب لدفعهم نحو تطوير وسائل المجتمع المدني واحترام حقوق الإنسان حيث إن ذلك سيسمح فيما بعد للغرب بتنشيط العمل مع جميع المجموعات الاجتماعية في هذه الدولة أو تلك وتسوية العمليات السياسية الجارية فيها بشكل يخدم أهدافها بالدرجة الأولى في تشكيل الظروف اللازمة لإسقاط الزعماء الشموليين في المستقبل. وكان للقنصاة وما زال دور هام في تفجير الأوضاع في البلدان التي تعرضت وتعرض اليوم "للمقرطة" الغربية فعندما يجتمع المتظاهرون سلمياً ويفرض الحاكم الإنصياع يأتي دور القنصاة وهم كانوا في أبخازيا وفي أوسيتيا الجنوبية وفي تونس وفي مصر وفي سوريا وعندما يتحدث عنهم الإعلام الرسمي الذي فقد الثقة نهائياً لا يصدقه أحد، وهذه هي القوة الثالثة التي لا تمت بصلة لا للثوار ولا للسلطات ومهمتها تحويل الانتفاضات الشعبية إلى فوضى عارمة وبالتالي

أيضاً يكمن أحد المخاطر التي كان يمكن أن يستخدمها الغرب في القوقاز في مرحلة الرئيس السابق ساكاشفيللي. وإذا كانت الوسيلة لتنفيذ الإستراتيجية المذكورة في العالم العربي هي الجماعات المتشددة ففي القوقاز تم استخدام التطرف القومي. والإسلامي معاً، وبما أن أوكرانيا ليست مسلمة فقد تم الاعتماد على التطرف القومي والمهم هنا ليس الوسيلة إنما الهدف الذي أصبح واضحاً تماماً ولم يعد هناك مجال للقول إن ما نتحدث عنه هو من قبيل "نظرية المؤامرة"¹⁹.

دور القنصاة في الانتفاضات العربية

وفيما يخص الإنتفاضات العربية التي فاجأت النخب السياسية في المنطقة والعالم فقد باتت تسمح باستنتاجات أولية بشأن مستقبل الشرق الأوسط الكبير (الجديد) من حيث الدور الريادي لمصر فيه، ومن حيث إجبار الولايات المتحدة وأوروبا وروسيا والصين على إقامة نمط جديد من العلاقات، إضافة إلى التغيرات الجوهرية في القضية الفلسطينية وزيادة الاهتمامات الإقليمية فيها على حساب «إسرائيل» باعتبارها الخاسر الأكبر لأنها رفضت عملياً جميع مبادرات السلام بما فيها مبادرة السلام العربية الأخيرة وقد تدفع الثمن لقاء ذلك غالباً²⁰. وتختلف الأوضاع الجديدة المتشكلة في البلاد العربية بعضها عن بعض من حيث المضمون ما يوحدتها أمان الأول أنها ضد الحكام المستبدين الذين طالت فترات

19 - Georgia 2012/world-report-2012/print/world-report-2012). فالقنصاة بدأها «النادي الروماني» في تقريره المشهور «حدود النمو» وكشفها أوباما عندما قارن الأحداث المصرية بسقوط جدار برلين الذي كان رمزاً لسقوط المنظومة الاشتراكية العالمية كما كشفها روبرت غيتس عندما صرح «بأننا بدأنا العمل مع الإسلاميين لوقت طويل قبل دخول القوات السوفياتية إلى أفغانستان».

20 - سليمان دباغ «الشعب يريد دحر الاحتلال» أبناء موسكو النصف الأول من نيسان/ أبريل 2011.

الرئيسي الذي يلعب على الخط السوري بنشاط وهي تعلن عن سعيها إلى مساعدة سورية في "اكتساب الديمقراطية" لكن ذلك ليس إلا حسابات عادية في توجيه ضربة إلى التحالف الرئيسي سورية- إيران وعموماً إلى مواقع الشيعة في الشرق الأوسط، وكذلك تأجيل حدوث انفجار موجة السخط والتذمر التي نضجت بذورها في داخل السعودية نفسها، وتبدو المهدات لزحف "الربيع العربي" إلى المملكة العربية السعودية جلية للعيان، وتمثل في أعمال القمع واسعة النطاق التي تنفذها السلطات وتفشي الفساد والاعتقالات الجماعية للمواطنين وازدياد عدد السجناء السياسيين. وتخشي الأسرة السعودية البقاء وحيدة في مواجهة المعارضة لدى حرمانها من دعم واشنطن. ولهذا فإنها تعمل في خدمة مصالح الولايات المتحدة دون أن تحسب بأن هذا بالذات يقربها من النهاية المحتومة.

إن النهج الذي تتبعه سلطات المملكة في الشرق الأوسط يمكن أن يحمل إليها مفاجآت غير سارة لأن الأسرة الحاكمة كانت تأمل بأن القضاء على النظام السوري سيضعف إيران لتصبح المملكة العربية السعودية دولة إقليمية كبرى، لكن هذا الهدف بعيد المنال، والزمن يمارس لعبته ضد البيت السعودي. وموقف واشنطن الحالي المتحفظ من المملكة العربية السعودية له دلالة بالغة جداً وهو لن يدافع عن الرياض في حالة اندلاع حركات احتجاج جماعية فيها حيث كثر الحديث في الفترة الأخيرة عن الخرائط الأميركية لإعادة ترسيم الحدود في الشرق الأوسط، ومع الخلافات في الرأي

خلق الذرائع للتدخل الخارجي وقد أدى القنصاة دوراً في حروب الهند الصينية حيث تم كشف منظمات تأسست في الولايات المتحدة نفذت مهمات قذرة منها القنص والاعتقال، ومن المعروف أنهم أدوا دوراً هاماً في رومانيا عام 1989 ولم يكشف إلى الآن عن هويتهم، وفي قبرغيزيا 2010 وفي أحداث إيران 2009 وتايلاند 2010 وقبل ذلك في تشرين الأول/ أكتوبر 1993 حيث تم قنص بعض الشرطة برصاص جاء من طرف السفارة الأميركية من قبل ملثمين شوهدوا فوق السفارة لم يكشف عنهم حتى اليوم.²¹

ويبقى السؤال: هل ستغير الثورات العربية المناخ العالمي أم لا؟ لدينا دلائل كثيرة تشير إلى متغيرات جيوسياسية تستخدم فيها الشعوب العربية كوسيلة للغرب يحاول إعادة المجد الأوروبي في السياسة العالمية، ولا يرى ذلك عودة إلى المرحلة الاستعمارية كما كان في بداية القرن العشرين لكنه يعتبره منعطفاً في السياسة الخارجية يحتاج إلى دراسة جادة.²²

مفاجأة غير سارة للسعودية

وفيما يخص مواقف الدول العربية والإسلامية فالمملكة العربية السعودية وإيران، وهما أهم دولتين إقليميتين، تدخلان على الخط الأول في الأزمة السورية. وقد أدت الأحداث في سوريا إلى سوء العلاقات الروسية السعودية والروسية القطرية لكنها لم تؤثر كثيراً على العلاقات الروسية التركية وخاصة في الجانب الاقتصادي، بالرغم من أن تركيا كانت في البداية من أكثر المتحمسين لإسقاط النظام السوري. وتبقى السعودية اللاعب الإقليمي

21- سلام مسافر « القنصاة يصنعون التاريخ في الشرق الأوسط؟ » أبناء موسكو النصف الأول من نيسان أبريل 2011

22- المعروف أن أزمة قناة السويس بدأت بعد تأميم جمال عبد الناصر لها، وهاجمت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل مصر لإعادة السيطرة على القناة وتوقف الهجوم بفضل التهديد السوفياتي.

ساكسون يمكن أن تجري في الرياض وأن سياسة المملكة العربية السعودية التي لا تتسم بالحذر تقود إلى تقريب هذه النهاية²³.

روسيا والملف النووي الإيراني

يمكن وصف العلاقات الروسية الإيرانية حالياً بأنها «شراكة إستراتيجية محدودة» ويجد البلدان أنه من المحتم عليهما التعاون في المجالين السياسي والاقتصادي في مناطق آسيا الوسطى وبحر قزوين والقوقاز والأزمة السورية، ويستند التعاون بين روسيا وإيران في هذا المجال إلى مبادئ البراجماتية، ولا بد

بين روسيا

وإيران «شراكة

استراتيجية

محدودة»

من القول إن مصالح روسيا وإيران في هذه المناطق لا تتعارض، واتساع الحضور الإيراني الاقتصادي في آسيا الوسطى التي تعتبر منطقة تقليدية للمصالح الروسية لم تعارضه روسيا لأنها تدرك صعوبة شغل الفراغ الكبير في هذه المنطقة بمفردها وترى روسيا أن تزايد تأثير إيران في هذه المنطقة يقلل من تأثير الصين والولايات المتحدة وتركيا. أما في الشرق الأوسط فقد أصبح من الشائع الآن الحديث عن دور إيراني رئيسي في هذه المنطقة ويرى الكثير من الخبراء السياسيين الروس أن من الطبيعي أن ترغب إيران بعدد سكانها وما تملكه من موارد كبيرة في لعب دور يتناسب مع وزنها السياسي كما تدعو روسيا إلى إشراك إيران في الجهود المبذولة لحل مشاكل المنطقة وتصر على مشاركتها مع السعودية في جنيف2- جنيف3-. وبالرغم من أن روسيا يساورها

فإن جميع استراتيجي الإنجلو- ساكسون يتفقون على تقسيم المملكة ويرون أن ذلك يتيح القضاء على الوهابية والتطرف الإسلامي ويحطم احتكار المملكة العربية السعودية لتصدير إرساليات النفط. لكن الدافع الحقيقي هو إستراتيجية التقسيم وخصوصاً أن الصين والمملكة العربية السعودية وقعتا منذ يناير/ كانون الثاني عام 2006 اتفاقية التعاون في قطاع النفط والغاز، وأصبحت المملكة العربية السعودية الشريك التجاري الرئيسي للصين في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. كما اتفق البلدان على بناء مصنع ضخمة لتكرير النفط في ميناء ينبع الواقع على ساحل البحر الأحمر يخطط للبدء بتشغيله في عام 2014. وتستورد الصين من المملكة العربية السعودية كميات من النفط أكثر مما تستورده الولايات المتحدة منها والآن تشغل منطقة الشرق الأوسط المرتبة الخامسة فقط في كشف البلدان والمناطق التي تزود الولايات المتحدة بالنفط. ومن الطبيعي أن يتيح تقسيم المملكة العربية السعودية فرض سيطرة الولايات المتحدة بشكل أفضل على منافسيها الاستراتيجيين، وخصوصاً أنه من غير المعروف هل ستواصل الرياض بيع نفطها بالدولارات الأميركية، وهل ستتحول لدى التعامل في حساباتها إلى استخدام اليوان أو اليورو؟ فهذه الخطوة تشكل كارثة بالنسبة إلى اقتصاد الولايات المتحدة.

وينبغي الآن متابعة تطورات الوضع السياسي في المملكة العربية السعودية باهتمام بالغ وثمة إحساس بأن أحداث الفصل القادم من دراما "الشرق الأوسط الكبير"، التي يجب أن يتم فيها تغيير خارطة العالم لصالح الأنجلو-

23- في مقالة بعنوان "حدود على الرمال" نشرت في مجلة "فانيتي فير" الأميركية أعطى الدبلوماسي دينيس روس الذي عمل في الشرق الأوسط والمؤرخ دافيد فرومكين والباحثان السياسيان كينيث بولاك ودانييل بايمان رؤيتهم لمستقبل الشرق الأوسط. انظر أيضاً مقالات إيجور إيغنايتنكو، باحث سياسي، دكتوراه فلسفة في الاقتصاد.

للتنمية. وإذا كان التقارب على مستوى دول الرابطة المستقلة يعاني من بعض المشاكل مع جورجيا ومولدافيا وأوكرانيا وأوزبكستان فهو يجري بشكل جيد مع دول الرابطة الأخرى وسوف تركز روسيا على حل المشاكل مع الدول المذكورة.

وباعتبارها واحدة من الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن فإن روسيا تؤدي دوراً أساسياً في الأمن والاستقرار الدوليين باعتبارها عضواً أساسياً في «الرباعية الدولية» و«السداسية الدولية» و«الثماني الصناعية الكبار» و«المجلس الأوروبي» و«منظمة الأمن والتعاون الأوروبي» و«منتدى التعاون الاقتصادي لدول آسيا والمحيط الهادئ» إضافة إلى المنظمات الإقليمية مثل «منظمة شنغهاي للتعاون» و«رابطة الدول المستقلة» و«المجموعة الاقتصادية الأوراسية» و«منظمة معاهدة الأمن الجماعي».

وستقوم روسيا بمتابعة الحوار مع الولايات المتحدة على المستوى الثنائي ومن خلال المنظمات الدولية، وستتصدى لهيمنة الولايات المتحدة على المنظمات الدولية وتدخلها في شؤون الدول الداخلية، وتقليل النفوذ الأميركي في آسيا الوسطى وتقوية العلاقات مع الرابطة لإعادة التكامل السابق لكن بشكل نوعي جديد

القلق من الملف النووي الإيراني فهي تنطلق من عدة أساسيات متوافقة تماماً مع القوانين الدولية التي تنظم التعامل مع البرامج النووية في العالم²⁴.

خلاصة

بالرغم من الأزمة القاسية التي تعرضت لها روسيا في نهاية القرن العشرين فقد عادت من جديد لتلعب دوراً جيوسياسياً لاستعادة مواقعها التاريخية التي فقدتها. وكان الوجود الإمبراطوري الروسي وسيبقى عاملاً هاماً في التوازن الاستراتيجي والاستقرار الدولي بما فيه الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط. ووعياً من روسيا بأنها دولة ذات اكتفاء ذاتي فهي لم تعد تساوم على أساسيات مصالحها مع أحد، وسيبقى اتجاه رابطة الدول المستقلة والحوار الروسي من أولويات سياستها الخارجية ولأجل ذلك كلف بوتين تقديم الدعم الدبلوماسي للمصالح الاقتصادية للبلاد والوقوف أمام المنافسة الشرسة من قبل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي في هذا الحوار وفي المناطق البعيدة أيضاً. والأدوات الدبلوماسية من وجهة نظر الرئيس الروسي يجب أن تكون بناءً وعملية ومرنة. ولم يعد للمعارضين التقليديين لروسيا على الساحة الدولية ما يفاخرون به لافتقارهم إلى نماذج جديدة

24- تعترف روسيا بالحق السيادي لإيران في وضع سياستها الخارجية، وبما أنها تعتبر عضواً في هيئة الأمم المتحدة يجب على إيران تنفيذ كل ما يقضي به ميثاقها، شأنها شأن أية دولة عضو في هذه المنظمة العالمية. وإيران تشارك في عدد من المعاهدات والاتفاقيات الدولية، بما فيها معاهدة حظر انتشار السلاح النووي، هذا الأمر يحدد الموقف الروسي من هذه المسألة. وفي حال التعاون على هذا الأساس فإن كافة مشاكل البرنامج النووي الإيراني ستتم تسويتها.

- تؤكد روسيا أنها مع حل هذا الملف حصراً بالطرق السلمية المتعارف عليها دولياً. وروسيا شأنها شأن المجتمع الدولي كله ومجلس الأمن الدولي تعترف ضمناً بحق إيران بالاستخدام السلمي للطاقة النووية لكن هذا الحق يترافق مع واجب تنفيذ بنود معاهدة حظر انتشار السلاح النووي ووثائق الوكالة الدولية للطاقة الذرية. وصرحت روسيا أحياناً أنه في حالة عدم جدوى الطرق الدبلوماسية يمكن اللجوء إلى فرض العقوبات. تقف روسيا إلى جانب السماح للوكالة الدولية للطاقة الذرية بالتفتيش على المفاعلات الإيرانية.

تعارض روسيا توجيه أي ضربة عسكرية للمفاعلات النووية الإيرانية. تدعم روسيا إشراك إيران بالتعاون في حل قضايا منطقة الشرق الأوسط مثل أفغانستان والقضية الفلسطينية وسوريا والتسوية الشرق أوسطية برمتها وتعتبر أن التعاون وليس العزل لأي طرف يعتبر مفتاحاً للنجاح.

ذات الاقتصادات النامية والمواقف السياسية المتطابقة تجاه القضايا الدولية.

وسوف تستمر روسيا برفض السياسة الأميركية في فرض العقوبات الاقتصادية على إيران وعزلها سياسياً. ولن تكون الخلافات الحدودية مع الصين واليابان وجورجيا وبحر قزوين وبارنتس ومع النزوح وفنلندا ولاتفيا وأستونيا، التي تعاني الجالية الروسية فيها من المشاكل، وأوكرانيا وبحر بيرينغ سبباً للتوتر في العلاقات خلال هذا العقد على الأقل حيث تهتم جميع دول المنطقة بالتعاون مع روسيا وليس تأزيم الوضع معها. وهناك اتجاه هام في السياسة الخارجية الروسية وهو أفغانستان حيث أعلنت روسيا عن عدم رضاها عن سحب قوات التحالف وتطالب بتقديم تقرير لمجلس الأمن عن تنفيذ أو عدم تنفيذ المهمة التي جاءت من أجلها. وستعمل روسيا على إكساب الأفغانين القدرات اللازمة للدفاع عن بلادهم وحفظ الأمن. وتساعد على التنمية المستدامة لأفغانستان لتجنب خطر المخدرات. وتشترك روسيا وباكستان في منظمة شنغهاي للتعاون وكذلك "رباعية دوشانبي" الخاصة بحل المشاكل الإقليمية. وتعتبر موسكو أن تطابق المواقف في الكثير من القضايا الدولية، وخاصة بعد انتخاب باكستان عضواً في مجلس الأمن، يخلق الظروف المواتية للتعاون. لكن إلغاء زيارة الرئيس الروسي للباكستان يشير على ما يبدو إلى خلاف حول رفض التعاقد مع "غازبروم" لإنشاء خط لنقل الغاز من إيران إلى الهند عبر باكستان، وقد تؤدي العلاقات الروسية الهندية دوراً سلبياً في تطوير العلاقات مع باكستان. وستبقى روسيا مؤيدة للمبادرة الخليجية في حل الأزمة اليمنية. وقد يتم تعديل السياسة الخارجية الروسية ارتباطاً بتطور الوضع السياسي والعسكري العالمي الذي أصبح يذكر بالتنافس الشديد للرأسمالية العالمية عشية الحربين العالميتين.

ويمكن أن تقوم بالضغط في حالات معينة على جورجيا وأوكرانيا. وستتعاون مع الدول الأوروبية التي تتبنى موقفاً إيجابياً مثل ألمانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا وسوف تسعى لتحسين العلاقات مع دول شرق أوروبا. وسوف تحدد تطور العلاقات الروسية مع أوروبا بشكل أساسي الدرع الصاروخية التي تعد استفزاً غربياً أدى إلى رفع الميزانية العسكرية والقدرات الدفاعية الروسية 777 ملياراً خلال العقد الحالي. وستقوم روسيا ببناء قوتها الذاتية بشكل مستقل عن النماذج الغربية الأخرى من حيث نظامها السياسي ومفهومها الخاص للديمقراطية، ولن تتسامح بتغيير الأنظمة في الدول المحيطة بها، كما حصل في التسعينيات ولن تقوم هي بتغيير نظامها أيضاً، وكان يمكنها فعل ذلك. وسوف تؤكد على سيادتها على المحيط الشمالي وبذلك ستدخل في منافسة مع الولايات المتحدة وكندا والنرويج. وستعمل على بناء نظام عالمي متعدد الأقطاب والدور الأساسي فيه سيعود للأمم المتحدة دون القيام بأية خطوات إلا من خلالها. وستضع إستراتيجية خاصة مع الصين ومنظمة شنغهاي للتعاون كوسيلة ليشمل التعاون بلورة عقيدة عسكرية حسب تطورات الوضع العالمي.

وأظهرت روسيا استعدادها للوقوف بحزم دفاعاً عن مصالحها في المنطقة العربية وستتابع مشاركتها العمل على أساس ثنائي مع كل دولة عربية على حدة بما فيها الدول التي تختلف معها في بعض مواقفها ومنها الموقف من الأزمة السورية، كما ستتابع نهجها بالتعاون على أساس جماعي من خلال جامعة الدول العربية وبشكل أوسع مع منظمة التعاون الإسلامي. وهي تقوم بتعزيز العلاقات مع دول مجلس التعاون الخليجي بإقامة حوار استراتيجي دوري. وستقوم بتوسيع وجودها في دول البلطيق في ظل تدهور الجاذبية الاستثمارية من قبل أوروبا وهبوط قيمة أصولها. وستعمل على تعزيز العلاقات مع دول بريكس

